بالإيمان يلتقي يوسف بن يعقوب بيسوع المسيح

الأخت
روز أبي عاد
دكتورة في لاهوت
الكتاب المقدّس

مقدّمة

تأخذ قصّة يوسف في سفر التكوين حيّزًا كبيرًا من الإهتمام، فهي تُستهَل في الفصل ٣٧ منسفر التكوين، وتُستأنف حتّى الفصل ٥٠ منه. علاوة على ذلك، لا نغالي إن قلنا إنّها القصّة الأكثر تشويقًا في الكتاب المقدّس، ولذا تجاوزت العالم القديم وتناقلتها الأجيال دون ملل أو كلل.

لقد عاش بطل الرواية محبوبًا ومُكرَهًا، مفضَّلاً ومتَّهَمًا زورًا. فالمصائب التي ألمّت به لم تجعله قاسيّ الطبع، والرفاهيّة التي نَعِمَ بها لم تُلحِق به الضرر. لقد كان ثابتًا وراسخًا في حياته الخاصّة والعامّة على حدٍّ سواء. كان حقًّا إنسانًا عظيمًا. ولهذا السبب يستفيض سفر التكوين في التكلّم عنه.

وإذا كانت قصّة إبراهيم، أب المؤمنين، ذات أهمّيّة كبرى في السفر الأوّل من العهد القديم، فإنّ قصّة يوسف لا تقلّ عنها شأنًا، بل تحظى بثلاثة عشر فصلاً، تمامًا كما حظيت قصّة إبراهيم بالعدد ذاته. أضف إلى أنّ الفنّ الأدبيّ السرديّ الذي حِيكت فيه قصّة يوسف يأسر القارئ بجاذبيّته، لدرجة أنّ مَن شرع في قراءة سيرة حياته، لا يمكنه التوقّف قبل أن يصل إلى النهاية. يبقى أنّ شخصيّة يوسف إقتحمت قلوب الأكثريّة الساحقة من الذين سمعوا أو قرأوا أو شاهدوا الأحداث التي مرّ بها، حتّى إنّ محبّة الناس له وتعاطفهم معه جعلا منه الشخصيّة الأكثر شعبيّة في الكتاب المقدّس بعد يسوع المسيح.

ستتمحور دراستنا التالية حول إبراز النقاط المشتركة بين يوسف بن يعقوب ويسوع المسيح وحياتهما الإيمانيّة[١]، فأوجه الشبه التي تجمعهما تكثر وتفيض حتّى نخال أنّ

١ هناك من يجد أنّ النقاط المشتركة بين يوسف بن يعقوب ويسوع المسيح تقارب المئة؛

يوسف في العهد القديم هو بمثابة الظلّ ليسوع المسيح، فهما يتقاربان ليشكّلا وجهان لحقيقة واحدة[٢].

إيمان يوسف وإيمان يسوع

كان والد يوسف يحبّه[٣] على جميع إخوته وقد ميّزه بينهم وكأنّي به جعله الوريث المفضّل لدى الوالد الثريّ وكان يسوع ابن الله الحبيب الذي عنه رضي[٤].

أعطى يعقوب يوسف الأرض التي فيها البئر في مدينة السامرة التي يُقال لها سيخارة،

Cf. HYPERLINK "http://www.biblebelievers.com/Pink/Gleanings_Genesis/genesis.htm" http://www.biblebelievers.com/Pink/Gleanings_Genesis/genesis.htm

٢ لا يوافق هنري موريس على المقارنة بين المسيح ويوسف لأنّه يرى أنّ العهد الجديد لم يُشر قط إلى هذا التوازي بينهما
Cf. Henry M. MORRIS, *The Genesis Record: A Scientific and Devotional Commentary on the Book of Beginnings*, Grand Rapids, Baker, 1976, 535.

في حين يجد كيل وديليتش أنّه يمكننا بسهولة أن نجد في قصّة يوسف سبيلاً ممهّدًا للمسيح، بتواضعه وتساميه، وبخضوعه وحرّيّته، وبمعاناته وتمجيده
Cf. C. F. KEIL and F. DELITZSCH, *Biblical Commentary on the Old Testament*, vol. 1, *The Pentateuch*, Grand Rapids, Eerdmans, n.d., 334.

كما يُدرج لانج قائمة في التشابيه بين الشخصيّتين: حسد وكراهية إخوة يوسف، وبيعهم له، تحقيق أحلام يوسف النبويّة رغم الجهود التي كانت تحول دون ذلك، تحوّل مؤامرة إخوته الشرّيرة إلى خلاص الآخرين، بما فيهم بيت يعقوب بأسره، كلامه الروحيّ الذي قابل به خيانة إخوته له، إنتصار الحبّ الغفور، وكالة يهوذا لبنيامين، خضوع يوسف المؤدّي الى إفتداء إخوته، فرحة يعقوب المحيية لدى إخباره بحياة إبنه المحبوب ومجده الذي كان يعتقده ميتًا
Cf. John Peter LANGE, *Commentary on the Holy Scriptures, Genesis*, Grand Rapids, Zondervan, n.d., 581.

وبدوره كتب باسكال أنّ يوسف يحاكي المسيح البريء، المحبوب من الآب، المرسَل من أبيه ليفتقد إخوته الذين باعوه بعشرين من الفضّة. ولكنّه انتهى بأن أصبح سيّدهم ومنقذهم. في السجن، كان يوسف بين مجرمَين، وعلى الصليب كان يسوع بين لصَّين، وقد تنبّأ يوسف عن نجاة أحدهم والحكم على الآخر، كذلك الأمر بالنسبة إلى مصير اللصّين اللذين وُجدا عن يمين المسيح وعن يساره، إذ نجا أحدهما والثاني رفض الخلاص. طلب يوسف من الرجل الذي سيعفو عنه فرعون بأن يذكره بعد خروجه من السجن في حين أنّ اللصّ الذي حصل على الخلاص من يسوع هو الذي طلب منه أن يذكره يوم يأتي في ملكوته
Cf. BLAISE Pascal, *Pensées*, trans. with introduction by A. J. KRAILSHEIMER, Baltimore: Penguin, 1966, 223; cf. aussi M. R. DeHAAN, *Portraits of Christ in Genesis*, Grand Rapids: Zondervan, 1966, 162–85; Arthur W. PINK, *Gleanings in Genesis*, Chicago: Moody, 1922, 340–408.

٣ لأنّه إبن المرأة التي أحبّها أكثر من غيرها (رج تك ٢٩: ٣٠)، ولأنّه ابن شيخوخته (تك ٣٧: ٣).

٤ رج مت ٣: ١٧ ؛١٧: ٥؛ مر ١: ١١؛ ٩: ٧؛ لو ٣: ٢٢؛ ٩: ٣٥.

والآب أعطى يسوع جميع ما له[٥].

عندما كان يوسف ما زال يعيش في منزل والده رأى حلمَين: الأوّل رأى نفسه وإخوته يحزمون حُزَمًا في الحقل، فإذا بحزمته تقف في الوسط وبحزم إخوته تحيط بها وتسجد لها، أمّا الحلم الثاني فرأى فيه كأنّ الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا ساجدة له، وقصّ حلمه على إخوته وأبيه، فوبّخه أبوه حين سمعه، وأَبغَضه إخوته ولم يَستَطيعوا أَن يُكلِّموه بِمَوَدَّة. ويسوع أيضًا لم يكن أوفر حظًا من يوسف؛ فلقد صُدم الفرّيسيّون عندما سمعوا كلامه، وتذمّر عليه اليهود، وكانوا يهزأون به، وقالوا فيه «إنّه بسيّد الشياطين يطرد الشياطين»[٦].

إزداد إخوة يوسف بغضًا له، لأنّ أباه صنع له قميصًا موشّى[٧]، ويسوع، أسلمه عظماء الكهنة إلى الحاكم الرومانيّ حسدًا منه[٨].

عندما أرسله أبوه إلى إخوته، من المفترض أن يكون يوسف قد بحث عنهم أربعة أو خمسة أيّام ما بين حبرون وشكيم ومنها إلى دوتائين، إذًا كان يوسف مهتمًّا بما آلت إليه حال إخوته. ولكنّ إخوته تلقّوا رعايته بهم بالتآمر عليه وانتهوا بأن باعوه كعبد. تآمر الإخوة ضدّ أخ أعزل كان قد جاء ليفتقد سلامتهم وسلامة الغنم ويعود ليخبر أباه بحالهم. ألم يكن هكذا مصير يسوع المسيح الذي أتى من السماء ليفتقد البشر، فتآمروا عليه ليهلكوه[٩].

في تك ٣٧: ٢٦-٢٧ يبدو لنا أنّ يهوذا حاول تفادي قتل أخيه من خلال إبقائه في البئر، فاقترح على إخوته أن يبيعوه عبدًا للإسماعيليّين بعشرين من الفضّة بغية إنقاذ حياته. ربّما حاول تغطية الفظيعة التي يرتكبونها بالتظاهر بالورع والإدّعاء بالشفقة تجاه أخيه. ويهوذا الإسخريوطي، أحد تلاميذ يسوع الإثني عشر الذي باع يسوع إلى عظماء الكهنة

٥ رج تك ٤٨: ٢١-٢٢؛ يو ٤: ٥-٦؛ ١٦: ١٥.

٦ رج تك ٣٧: ٤-١٠؛ مت ١٥: ١٢؛ يو ٦: ٤١؛ لو ١٦: ١٤؛ مت ٩: ٣٤؛ ١٢: ٢٤.

٧ رج تك ٣٧: ٣؛ وفي النصوص السابقة لتكوين ٣٧ نجد سببًا آخر لحسد إخوة يوسف منه، إذ كان ابن المرأة التي أحبّها أبوه (تك ٢٩: ١٩، ٢٠، ٢٥، ٣٠).

٨ رج مت ٢٧: ١١-٢٦؛ مر ١٥: ١-١٤.

٩ رج تك ٣٧: ١٨-٣٠؛ مت ١٢: ١٤؛ ٢١: ٤٦؛ ٢٦: ٤؛ مر ٣: ٦؛ ١٤: ١؛ لو ٢٢: ٢؛ ٤: ٤٢؛ يو ٥: ١٨؛ ٧: ٣٠، ٣٢، ٤٤؛ ٨: ٢٠؛ ١٠: ٣٩؛ ١١: ٥٧.

لقاء ثلاثين من الفضّة، ألم يعترض على دَهن معلّمه بالناردين الخالص الغالي الثمن مدّعيًا أنّ هذا الطّيب يمكن أن يباع بثلاثمائة دينار فتُعطى للفقراء، علمًا أنّه لم يقل هذا لاهتمامه بالفقراء، بل لأنّه كان سارقًا وكان صندوق الدّراهم عنده، فيختلس ما يلقى فيه[١٠].

تعرّض يوسف مرّتين للعنف جرّاء نزع ثيابه: في المرّة الأولى نزع عنه إخوته القميص الموشّى، وفي المرّة الثانية، تمسّكت به إمرأة سيّده عندما حاول الهرب منها فترك ثوبه بجانبها وفرّ هاربًا إلى خارج، ويسوع المسيح عندما مضى به جنود الحاكم إلى دار الحاكم «جرّدوه من ثيابه وجعلوا عليه رداء قرمزيًا»، وعلى الصليب «اقتسموا ثيابه مقترعين عليها»[١١].

بعد أن طرحه إخوته في البئر، لم يعترض يوسف لما لحقه من ضرّر، ولم يُطلق صرخات الإستغاثة من قاع البئر. ويسوع أيضًا تمّت فيه نبوءة أشعيا أنّه «لن يُخاصم ولن يصيح ولن يسمع أحد صوته في السّاحات. القصبة المرضوضة لن يكسرها والفتيلة المدخّنة لن يطفئها حتّى يسير بالحقّ إلى النّصر»[١٢].

حزن يعقوب، الطاعن في السنّ، على ابنه يوسف ودام حزنه أيّامًا كثيرة، لا بل أبى أن يتعزّى[١٣]. وهكذا هي حال الآب السماويّ الذي حزن لِما ألمّ بإبنه الحبيب[١٤].

في تك ٣٩: ٤، نقرأ أنّ يوسف نال حظوة في عينيّ سيّده، فأقامه على بيته. مرّة جديدة يبدو فيها يوسف رمزًا ليسوع الذي: «كان يتسامى في الحكمة والقامة والحظوة عند الله والناس». كان يوسف ابن سبع عشرة سنة حين باعه إخوته، وكان ابن ثلاثين سنة حين أقامه فرعون على كلّ أرض مصر، وعليه فإنّ عدد السنين التي ترقّى فيها يوسف ثلاثة عشر عامًا، وإذا حذفنا منها سنتين أمضاهما يوسف في السجن، يكون أنّه انتقل من

١٠ رج مت ٢٦: ١٤-١٦؛ مر ١٤: ١١؛ لو ٢٢: ٤-٥؛ يو ١٢: ١-٤.

١١ رج تك ٣٧: ٢٣؛ ٣٩: ١٥-١٧؛ مت ٢٧: ٢٧-٢٨، ٣٥؛ مر ١٥: ١٧؛ يو ١٩: ١-٣.

١٢ رج تك ٣٧: ٢٤؛ أش ٤٢: ١-٤؛ مت ١٢: ١٩-٢٠.

١٣ رج تك ٣٧: ٣٤-٣٥.

١٤ يصف الإنجيليّون الإزائيّون بصورة رؤيويّة حزن الآب على ابنه الحبيب، إذ عندما لفظ يسوع الروح، انشقّ حجاب المقدّس شطرين من الأعلى إلى الأسفل، وزُلزلت الأرض وتصدّعت الصخور، فاعترى قائد المائة ورجاله الخوف لمّا رأوا الزلزال وما حدث؛ رج مت ٢٧: ٥١-٥٤؛ مر ١٥: ٣٨-٣٩؛ لو ٢٣: ٤٤-٤٧.

حالة العبد إلى مركز الرئيس الثاني لمصر في خلال أحد عشر عامًا. فكما أنّ يوسف ترقّى بسرعة الى قيادة البلاد، هكذا يسوع الذي كان ابن اثنتي عشرة سنة وجده أهله في الهيكل «جالسًا بين المعلّمين، يستمع إليهم ويسألهم، وكان جميع سامعيه معجَبين أشدّ الإعجاب بذكائه وجواباته»[١٥]؛ كلاهما نالا حظوة أمام الله والناس على حدٍّ سواء.

في المرحلة الأولى من إقامته في مصر، لم يدم نجاح يوسف طويلاً، ذلك بأنّه تعرّض إلى تجربة من قبل إمرأة سيّده التي حاولت أن تغويه، فأطلقت العنان لشهوتها، وألحّت في طلبها لتنال مبتغاها، كما أنّها كانت تترصّد الوقت المناسب لتحظى به، ولكنّ يوسف أبى أن يصغي إليها، فقَلبَت القصّة رأسًا على عقب وحوّلت الجلاد إلى ضحيّة والضحيّة إلى جلاد. وكان أن وقع يوسف فريسة كذبها ومكرها وافترائها. أمّا في ما يخصّ الإغراء بحدّ ذاته، فقد كان قويًّا جدًا، ذلك لأنّه يطال رغبة طبيعيّة منحها الله للإنسان، ولكنّها في هذه الحالة لم تكن محقّة. ولكي توقع يوسف في حبائلها من المفترض أن تكون إمرأة فوطيفار قد أوعزت له بأنّه شاب وأنّه لم يزل غير متزوّج، وأنّ من حقّه أن يتنعّم بمتطلّباته الجنسيّة: كلّها حججًا جميلة ومغرية. أليست هي ذاتها الطريقة التي لجأ إليها المجرّب عندما حاول أن يوقع بيسوع. ثمّ ألم يكن يوسف خارج منزله عندما كان عليه أن يواجه التجربة، ويسوع نفسه، ألم يكن في البرّيّة، بعيدًا عن منزله[١٦]؟ يسترعي انتباهنا أنّ كُلًا من يوسف ويسوع تعرّضا للتجربة وهما في أوج النجاح[١٧]. ثمّ إنّهما جُرِّبا مرارًا، ومن المفترض أن يكون المجرّب قد لجأ إلى براهين عديدة ليوقع بهما. كما نجد في كلتا الحالتين، أنّ المجرّب يتحيّن الفرص لينال من فريسته: ففي قصّة يوسف نقرأ أنّه «اتّفق في بعض الأيّام أنّ يوسف دخل البيت ليقوم بعمله، ولم يكن هناك في البيت أحدٌ من أهله، فأمسكت بثوبه قائلة: «ضاجعني». فترك ثوبه بيدها وفرّ هاربًا إلى الخارج» (تك ٣٩: ١١-١٢). أمّا يسوع، فعندما أتى إليه المجرّب كان قد صام أربعين يومًا وأربعين ليلة، إذًا، كان بالطبع جائعًا (مت ٤: ٢). السلاح الوحيد الذي تشبّث به كلٌّ من يوسف ويسوع لمواجهة التجربة كان الإيمان.

---

١٥ رج لو ٢: ٥٢؛ تك ٣٧: ٢؛ ٤١: ٤٦؛ لو ٢: ٤٦-٤٧.

١٦ فالمنزل يشكّل نوعًا من الحصانة ضدّ هجمات التجربة، والبعد عنه يسهّل على الإنسان أن يرمي بقيمه في مهبّ الريح. ولكن أليس أنّ الله موجود في كلّ مكان؟

١٧ كما نال يوسف حظوة في عينيّ سيّده، ولذلك أقامه على بيته وكلّ ما كان له جعله في يده (تك ٣٩: ٤)، كذلك يسوع جاءه صوت من السماء يقول: "هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت" (مت ٣: ١٧).

أُدخل يوسف إلى السجن بتهمة زور، ويسوع عندما اعتُقل عند عظيم الكهنة، شهد غير واحد زورًا عليه، واختلفت الشهادات في ما بينها[١٨].

ما جعل سجن يوسف لا يُطاق هو الظلم دون هوادة؛ إذ كان فوطيفار قد ألقى به في السجن دون أن يُجري أيّ تحقيق ليتثبّت من صحّة التهمة الموجّهة إليه. لقد تلقّى يوسف تمامًا عكس ما كان يستحقّه، بعد رفضه القاطع ارتكاب الزنى مع إمرأة سيّده. ويسوع المسيح لم يجد فيه بيلاطس سببًا لاتّهامه ورغم ذلك أسلمه ليُصلب[١٩].

عندما طُرِح يوسف في السجن، لم يستنجد بمحامٍ أرضي ليدافع عنه، وربّما لم يكن بإمكانه الوصول إلى محكمة مصريّة، كونه عبدًا. وعندما أُلقي القبض ظلمًا على يسوع في بستان الزيتون، كان بإمكانه أن يستنجد بأبيه ليدافع عنه ولم يفعل لكي ما تتمّ فيه الكتب[٢٠].

لا يخبرنا سفر التكوين عن الآلام التي عاناها يوسف داخل السجن ولكنّنا نقرأ عنه في سفر المزامير ما يلي: «ألّموا بالقيود رجليه، في الحديد دخل عنقه». إذًا،كان يوسف مقيّدًا بعنقه وبرجليه أقلّه خلال الفترة التي كان ينتظر فيها إمّا تنفيذ الحكم أو التخفيف من العقوبة. ويسوع قُبض عليه من قِبَل الكتيبة والقائد وحرس اليهود وأوثقوه[٢١].

قد يخال لنا أنّ يوسف كان يلوم الربّ، هو الذي ظلّ أمينًا له طيلة حياته، أكان في أرض كنعان، حيث كان مطيعًا لأبيه في حين أنّ إخوته كانوا يسيئون إليه، أو في أرض مصر، حيث تحوّلت حالته الإجتماعيّة من الإبن المفضّل الى عبد، ولكنّه رغم ذلك ظلّ ثابتًا على مبادئه بأن يكون الخادم الأمين لسيّده مهما كلّفه الأمر. والسؤال البديهيّ الذي يبادر إلى فكرنا: ألم يكن على الله أن يكافئه لأمانته له ولعدم إنغماسه في الخطيئة؟ ولماذا يؤخذ كلام الواشي بعين الاعتبار في حين أنّ البريء يحاكَم ظلمًا؟ كان يوسف على يقين

١٨ رج تك ٣٩: ١٣-١٩؛ مت ٢٦: ٥٩-٦١؛ مر ١٤: ٥٥-٥٩.

١٩ رج يو١٨: ٣٨؛ ١٩: ٤، ٦، ١٦.

٢٠ ومدّ واحد من الذين معه يده إلى سيفه فاستلّه وقطع أُذن خادم عظيم الكهنة، إنتهره يسوع بقوله: "إغمد سيفك (...) أوتظنّ أنّه لا يمكنني أن أسأل أبي، فيمدّني السّاعة بأكثر من اثني عشر فيلقًا من الملائكة؟" (مت ٢٦: ٥١-٥٤).

٢١ رج مز ١٠٥: ١٨؛ مت ٢٦: ٤٧-٥٠؛ مر ١٤: ٤٣-٤٤؛ لو٢٢: ٥٤؛ يو١٨: ١٢.

من أنّه وُشي به واضطُهد من أجل البرّ وليس لأيّ سوء ارتكبه[٢٢]. بالواقع، لا يُخبرنا النصّ عن حالته النفسيّة، ولكن يمكننا أن نتوقّع أنّه كان غير متذمّر ومنتظرًا خلاص الله له. والبرهان هو أنّ إقامته في السجن لم تحوّله إلى إنسان حاقد أو محبَط، بل «إنّ رئيس السجن جعل في يده جميع السجناء الذين في السجن، وكلّ ما كانوا يصنعونه هناك كان هو يدبّره». ويسوع أيضًا عندما اعتقلوه وقادوه إلى قيّافا عظيم الكهنة وراحوا يستمعون إلى إفادة شهود الزور عليه، لم يتذمّر، بل ظلّ صامتًا[٢٣].

كان مع يوسف في السجن مسجونان: رئيس السُّقاة ورئيس الخبّازين، ويسوع صُلب بين لصّين[٢٤].

كان يوسف شجاعًا في قول الحقيقة، فعندما فسّر حلم الخبّاز لم يتوانَ في قول الحقيقة القاسية المتعلّقة بتنفيذ حكم الإعدام فيه، ويسوع أيضًا قال الحقّ دون أن يحابي الوجوه، حتّى ليذهلنا مدى تكراره عبارة «الحقّ والحقّ أقول لكم»[٢٥].

بعد أن فسّر حلم ساقي الملك، كان يوسف يتوقّع من رئيس السقاة أن يذكره لدى فرعون حين يخرج من السجن، ولكنّ هذا الأخير لم يفعل؛ ويسوع المسيح شفى الكثيرين، وأطعم الجائعين، وعزّى المحزونين وأقام الموتى، أمّا الذين شكروه فقليلون[٢٦].

بعد أن فسّر له أحلامه، رأى فرعون في يوسف «رجلاً فهيمًا حكيمًا»؛ ويسوع أيضًا، لمّا بلغ اثنتي عشرة سنة، وصعد إلى أورشليم مع أبويه، بقي في الهيكل بين المعلّمين يستمع إليهم ويسألهم، «وكان جميع سامعيه معجَبين أشدّ الإعجاب بذكائه وأجوبته». ثمّ، إذ كان

٢٢ في تصرّفه هذا يذكّرنا يوسف بكلام يسوع: "طوبى للمضطهَدين على البرّ فإنَّ لهم ملكوت السّموات. طوبى لكم، إذا شتموكم واضطهدوكم وافترَوا عليكم كلّ كذب من أجلي" (مت ٥: ١٠-١١).

٢٣ رج تك ٣٩: ٢٢؛ مت ٢٦: ٦٣.

٢٤ رج تك ٤٠: ٣-٤؛ مت ٢٧: ٣٨؛ مر ١٥: ٢٧؛ لو ٢٣: ٣٩-٤٣.

٢٥ رج تك ٤٠: ١٨-١٩؛ مت ٥: ١٨؛ ٦: ٢، ٥، ١٦؛ ٨: ١٠؛ ١٠: ١٥، ٢٣، ٤٢؛ ١١: ١١؛ ١٣: ١٧؛ ١٦: ٢٨؛ ١٧: ٢٠؛ ١٨: ٣، ١٣، ١٨، ١٩؛ ١٩: ٢٣، ٢٨؛ ٢١: ٢١؛ ٢٣: ٣٦؛ ٢٤: ٢، ٣٤، ٤٧؛ ٢٥: ١٢، ٤٠، ٤٥؛ ٢٦: ١٣، ٢١؛ مر ٣: ٢٨؛ ٨: ١٢؛ ٩: ١، ٤١؛ ١٠: ١٥، ٢٩؛ ١١: ٢٣؛ ١٢: ٤٣؛ ١٣: ٣٠؛ ١٤: ٩، ١٨، ٢٥؛ لو ٤: ٢٤، ٢٥؛ ٩: ٢٧؛ ١٢: ٣٧، ٤٤؛ ١٨: ١٧، ٢٩؛ ٢١: ٣، ٣٢؛ يو ١: ٥١؛ ٣: ١١؛ ٥: ١٩، ٢٤، ٢٥؛ ٦: ٢٦، ٣٢، ٤٧، ٥٣؛ ٨: ٣٤، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٨؛ ١٠: ١، ٧؛ ١٢: ٢٤؛ ١٣: ١٦، ٢٠، ٢١؛ ١٤: ١٢؛ ١٦: ٧، ٢٠، ٢٣.

٢٦ رج تك ٤٠: ١٤، ٢٣؛ لو ١٧: ١١-١٩. فإذا كان الناس محبّين أنفسهم وناكري الجميل، ليست هي حال الله الذي يفحص القلوب والكلى ويؤتي الخلاص في الوقت المناسب.

في الناصرة وأخذ يعلّم الناس في مجمعهم، دهشوا وقالوا فيه: «من أين له هذه الحكمة وتلك المعجزات[٢٧]؟

تنبّه فرعون إلى أنّ إبن الثلاثين سنة يملك شيئًا خارق الطبيعة يفتقده هو ذاته، وأنّ الله هو مصدره: «هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله؟». إنّها المرّة الأولى في الكتاب المقدّس التي يُذكَر فيها أنّ روح الله يحلّ في رجل[٢٨]، ليخوّله أن يحكم تلك الأمّة الكبيرة آنذاك. ويسوع المسيح هو الذي حُبل به من الروح القدس، ونزل عليه روح الله بعد اعتماده في نهر الأردن على يد يوحنّا المعمدان، وتهلّل بالروح القدس، وبروح الله طرد الشياطين، وها هو بعد قيامته يهب الروح القدس لتلاميذه[٢٩].

عندما وَهَبَ فرعون منزلة رفيعة ليوسف كرئيس وزرائه، أركبه مركبته الثانية ونادوا أمامه: «إحذر»، أي كان على مَن يلتقي به أن يجثو أمامه. ويسوع المسيح الممجّد بعد قيامته من بين الأموات يقول عنه بولس الرسول مستشهدًا بكلام النبيّ أشعيا: «بحقّي أنا الحيّ، لي تجثو كلّ ركبة، ويحمد اللهَ كلُّ لسان»[٣٠].

أمّا الاسم الذي أعطاه فرعون ليوسف «صُفْنَة فَعْنِئَح» (تك ٤١: ٤٥) فهناك مَن يقول إنّ معناه «مخلّص العالم»، وهو إسم مخلّصنا يسوع[٣١].

---

٢٧ رج تك ٤١: ٣٣؛ لو ٢: ٤١-٤٧؛ مت ١٣: ٥٤؛ مر ٦: ٢. منذ أن قدّمه أبواه للهيكل، كان الطفل يترعرع ويشتدُّ ممتلئًا حكمة" (لو ٢: ٥٢)، وبعد ذلك "كان يسوع يتسامى في الحكمة والقامة والحظوة عند الله والناس" (لو ٢: ٥٢).

٢٨ رج تك ٤١: ٣٨. بعد يوسف سنرى أنّ الله يحلّ روحه على بَصلائيل بن أوري بن حور من سبط يهوذا ويملأه مهارة وفهمًا وعلمًا بجميع الصنائع (خر ٣١: ٣-٥؛ ٣٥: ٣٠-٣١)؛ كما يتنبّأ النبي يوئيل على فيض الروح على كلّ بشر (يوء ٣: ١-٥)، وهذا ما تحقّق في أعمال الرسل (أع ٢: ١-٢١).

٢٩ رج مت ١: ١٨؛ لو ١: ٣٥؛ مت ٣: ١٦؛ لو ٣: ٢٢؛ ١٠: ٢١؛ ١٢: ٢٨؛ يو ٢٠: ٢٢.

٣٠ رج تك ٤١: ٤٣؛ رو ١٤: ١١؛ فل ٢: ١-١١.

31 Cf. Joseph MEYER, *Beloved—Hated—Exalted*;
HYPERLINK "http://preceptaustin.org/joseph_beloved,_hated,_exalted.htm" http://preceptaustin.org/joseph_beloved,_hated,_exalted.htm

ولكن ليس هناك إجماع حول تفسير إسمه، إذ هناك من يفسّره بـ "غزارة الحياة"، أو "كاشف الأسرار"، أو "كلمة الله تتكلّم حياة"، أو غيره،

Cf. James Boice MONTGOMERY, *Genesis, An Expositional Commentary*, Grand Rapids, Mich., Baker Books, 1998, 973.

أمّا سكينّر وفون راد فيفسّران الاسم الذي أُعطي إلى يوسف بما يلي: "ألله يتكلّم ويحيا"، رج

لمّا جاعت أرض مصر كلّها والتجأ الشعب إلى فرعون لأجل الخبز، قال لهم هذا الأخير: «إذهبوا إلى يوسف، فما يَقُلهُ لكم فاصنعوه». فكما أشار فرعون إلى الشعب الجائع بأن يتوجّه إلى يوسف، هكذا أشارت مريم، إلى الخدم بأن يتّجهوا نحو يسوع لكي يُنقذ العروسين من مأزقهم. وكما كان مصدر حبوب القمح، أثناء سنوات المجاعة، لدى يوسف، هكذا فإنّ مصدر خبز الحياة نجده لدى يسوع المسيح، بحيث إنّ مَن يُقبل إليه لن يجوع أبدًا[٣٢].

مذ أن عاد يوسف والتقى بإخوته الذين كان قد حُرم من رؤيتهم لمدّة طويلة، لا ينثني الكاتب يصفه لنا يبكي بكاء مريرًا. أولاً عندما احترقت أحشاؤه شوقًا على أخيه بنيامين، وعندما عرّف نفسه إلى إخوته، أطلق صوته بالبكاء، فسمعته مصر وسمعه بيت فرعون، وعندما ألقى بنفسه على عنق بنيامين أخيه، وقبّل سائر إخوته وبكى على أعناقهم، وعندما صعد ليلاقي اباه، فلمّا ظهر له ألقى بنفسه على عنقه وبكى طويلاً على عنقه، ولدى وفاة يعقوب أبيه، وعندما طلب منه إخوته أن يغفر لهم، مسندين الكلام إلى أبيهم الذي كان قد مات. أمّا بكاء يوسف فيُظهر لنا مدى حبّه لإخوته ولأبيه بالرغم من أنّه كان قد تغيّب عن البيت الوالدي لأكثر من عقدين من السنين، وغيابه كان قسريًّا بسبب كراهيّة أخوته. كان من الممكن أن يبقى الظلم الذي أُلحق به دفينًا في القلب، ثمّ يعود يطفو بعد أن التقى بهم من جديد، كما كان من الممكن أن تتحجّر مشاعره وأن تتجمّد في داخله فيغدو غير قابل أن يحبّ في ما بعد، لا بل تتأجّج الضغينة في داخله. ليست هذه هي حال يوسف الذي أمضى حوالى إثنين وعشرين سنة في العزلة ولم يسمح للمصيبة أن تنال منه. لقد تخطّى محنته ببقائه قريبًا من الله، فكان حبّ الله كافيًّا له ومعوّضًا عن غياب مَن يحب. وبكى يسوع على أورشليم قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، إذ رفضَتْ أن يجمع يسوع بنيها كما تجمع الدجاجة فراخها ولذا فهي ستُسلَم إلى الخراب[٣٣].

أمّا ذروة قصّة يوسف فنجدها في تك ٤٥: ٣، أي في اللحظة التي عرّف فيها يوسف عن

John SKINNER, *A Critical and Exegetical Commentary on Genesis*, in *The International Critical Commentary*, Edinburgh, T. & T. Clark, 1956, 470; Gerhard Von RAD, *Genesis, A Commentary*, trans. John H. MARKS, Philadelphia, Westminster, 1961, 373.

على كلّ حال، يمكن تطبيق جميع هذه التفاسير على يسوع المسيح.

٣٢ رج تك ٤١: ٥٥-٥٦؛ يو ٢: ٥؛ تك ٤١: ٥٤؛ يو ٦: ٣٥؛ أضف إلى أنّ يسوع المسيح هو الماء الذي يروي عطش كلّ ظمآن (يو ٧: ٣٧)، ففي المسيح "يحلّ الكمال كلّه" (قول ١: ١٩)، ومَن أقبل إليه لا يلقيه في الخارج (يو ٦: ٣٧).

٣٣ رج تك ٤٢: ٢٤؛ ٤٣: ٣٠؛ ٤٥: ٢؛ ٤٥: ١٤-١٥؛ ٤٦: ٢٩؛ ٥٠: ١، ١٧؛ لو ١٣: ٣٤-٣٥؛ ١٩: ٤١.

نفسه لإخوته، ويمكننا أن ندرك مدى أوج الإنفعال لدى يوسف من جهة ولدى إخوته من جهة ثانية. قد لا نجد في الكتاب المقدّس بمجمله لحظات مثيرة كهذه. ولكن ما يميّز تك ٤٥: ١-٤ هو مدى تطابق وقائع حياة يوسف على وقائع حياة يسوع المسيح. فيوسف الذي يكشف عن ذاته يوضّح بجدارة حياة يسوع الإنسانيّة: عرف يوسف إخوته قبل أن يعرفوه، أمّا هم فخالوه عاهلاً مصريًّا غامضًا ليس إلاّ. وهكذا عندما وُلد يسوع على هذه الأرض «كان في العالم وبه كان العالم والعالم لم يعرفه»[٣٤].

رغم سوء صنيع إخوته به، ظلّ يوسف يعاملهم بالمحبّة، حتّى عندما لم يكونوا بعد قد تعرّفوا عليه: لنسمعه يأمر بأن «تُملأَ أوعيتهم قمحًا وتُردّ فضّة كلّ واحد إلى كيسه وأن يعطوا زادًا للطّريق، فصُنع لهم كذلك»، فلو لم يكن يحبّهم لكان تجاهل أنّه يعرفهم وتركهم يرجعون من حيث أتوا ويهلكون في جوعهم. ويسوع المسيح الذّي بلغ به حبّه لخاصّته إلى أقصى حدود، فبذل نفسه في سبيل أحبّائه، قد فاق كلّ ما بإمكان أيّ إنسان أن يفعله تعبيرًا عن حبّه للآخرين[٣٥].

عندما تعرّف إخوة يوسف عليه، كان الخوف يتملّكهم وكانوا يرتعدون أمام أخيهم، وعندما تراءى يسوع القائم من الموت لتلاميذه «أخذهم الفزع والخوف وظنّوا أنّهم يرون روحًا»، وكما دعا يوسف إخوته أن يتقدّموا إليه ليخفّف من وطأة رعدتهم، كذلك حاول يسوع أن يبدّد خوف تلاميذه قائلاً لهم: «ما بالكم مضطربين، ولم ثارت الشّكوك في قلوبكم؟ أنظروا إلى يديّ وقدميّ. أنا هو بنفسي. إلمسوني وانظروا، فإنّ الرّوح ليس له لحم ولا عظْم كما ترون لي»[٣٦].

في تك ٤٥: ٤، يدعو يوسف إخوته: «تقدّموا إليّ»، وفي آ ٩ يكرّر دعوته إلى أبيه لينزل إليه. من الصعب أن نسمع هاتين الدعوتين من فم يوسف دون أن نفكّر بيسوع الذي يدعو

٣٤ رج تك ٤٢: ٧-٨؛ يوا: ١٠؛ وفي هذا الصدد يقول أشعيا النبي "عرف الثّور مالكه والحمار معلف صاحبه لكنّ إسرائيل لم يعرف وشعبي لم يفهم" (١: ٣)؛ وكذلك هي حال صاحب المزامير: "يا ربّ قد سبرتني فعرفتني، عرفت جلوسي وقيامي، فطنت من بعيد لأفكاري، قدّرتَ حركاتي وسَكَناتي وأَلِفتَ جميع طرقي، قبل أن يكون الكلام على لساني أنت يا ربّ عرفتَهُ كلَّه... لم تخفَ عظامي عليكَ حين صُنعتُ في الخفاء وطُرّزتُ في أسافل الأرض" (١٣٩: ١-٤، ١٥).

٣٥ رج تك ٤٢: ٢٥؛ يو ١٣: ١، ٣٣-٣٤؛ ١٥: ٩، ١٥؛ ١٧: ٢٦.

٣٦ رج تك ٤٥: ٣؛ لو ٢٤: ٣٧؛ تك ٤٥: ٤؛ لو ٢٤: ٣٨-٣٩؛ بقي يسوع معهم زمانًا ليبلسم جراحهم، ويفتح أذهانهم ليفهموا ما جاء في الكتب حسب تدبير الله (لو ٢٤: ٢٥-٢٦).

إليه جميع المتعبين المثقلين ليريحهم، يدعوهم ليحملوا نيره ويتتلمذوا له ليجدوا الراحة لنفوسهم كما نسمعه يدعو التلميذين اللذين تبعاه إثر شهادة يوحنّا المعمدان به وبعد سؤالهما له: «رابي أين تقيم؟» فقال لهما: «تعاليا وانظرا»[٣٧].

من الميزات التي تحلّى بها يوسف نذكر قدرته على المغفرة، فهو لم يكتفِ بأن يُظهر حبّه لأخيه بنيامين الذي لم يُلحِق به أيّ ضرر، بل تصرّف بالمثل مع سائر إخوته: شمعون، لاوي، رأوبين والآخرين. من ناحية أخرى، لم ينتقم من فوطيفار الذي سجنه قسرًا ولا من إمرأته التي إتّهمته إفتراءً. كما أنّه لم ينتقم من رئيس السقاة الذي تناساه وتركه قابعًا في ظلام السجن طيلة سنتين. وسيحافظ على تصرّفه هذا حين سيلتقي بإخوته إذ سيقول لهم «لا تخافوا. ألعلّي أنا مكان الله؟ أنتم نويتم عليّ شرًّا، والله نوى به خيرًا، لكي يصنع ما ترونه اليوم ليهب الحياة لشعب كثير. والآن لا تخافوا: أنا أعولكم أنتم عيالكم». ويسوع على الصليب لم يكتفِ بأنّه لم ينتقم من شاتميه وصالبيه والساخرين به، بل طلب لهم المسامحة من الله: «إغفر لهم يا أبتِ، لأنّهم لا يعلمون ما يفعلون»[٣٨].

ويبقى مشهد يوسف يقبّل أخوته الذين كانوا قد ظلموه حدثًا غير مسبوق في الكتاب المقدّس. إنّه يستحضر مشهد يسوع الذي أحبّ ظالميه وقبّلهم. يهوذا الإسخريوطي عاش معه وكان من تلاميذه طيلة ثلاث سنوات، ولكنّه انتهى بأن خانه. أمّا يسوع فلم ينسحب من الشركة معه. أكل العشاء الأخير معه، لا بل هو سمح له بأن يغمس يده في الصّحفة معه» وعندما قدم إليه يهوذا في البستان ودنا منه ليقبّله قبلة الخيانة والتسليم للأعداء، لم يبعد عنه خدّه بل قال له: «يا صديقي، إفعل ما جئت له»[٣٩].

ربّما ما يضفي على قصّة يوسف الجاذبية هو انتقاله المفاجئ من حالة إلى نقيضها؛ نقرأ في تك ٤١: ١٤ كيف تغيّرت أوضاعه الإجتماعية: من سجين مُلتحٍ إلى رجلٍ حَلقَ ذقنه وأبدل ثيابه وخرج من السجن الى دار فرعون، فاستُبدِل الحديد حول عنقه بطوق الذهب، ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف، وألبسه ثياب كتّان ناعم، وبعد ذلك أقامه على بيته وجعل الشعب بأسره تحت إمرته، إنّها حقًّا ترقية رائعة، وتتويج لانتقالٍ

٣٧ رج مت ١١: ٢٨-٢٩؛ يو ١: ٣٦-٣٩.

٣٨ رج تك ٥٠: ١٩-٢٠؛ لو ٢٣: ٣٤. أليست هذه هي وصيّة يسوع لتلاميذه: "أمّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشّرّير، بل مَن لطمكَ على خدِّك اليمن فاعرض له الآخر" (مت ٥: ٣٩؛ لو ٦: ٢٩).

٣٩ تك ٤٥: ١٤-١٥؛ مت ٢٦: ٢٣؛ لو ١٤: ٢٠؛ مت ٢٦: ٤٨-٥٠؛ مر ١٤: ٤٤-٤٥؛ لو ٢٢: ٤٧-٤٨.

من العبوديّة إلى العظمة التي ربّما لا نجد لها مثيلاً في تاريخ البشريّة، أو أقلّه في الكتاب المقدّس بمجمله. هذا الترقي العامودي في قفزة واحدة من قعر الزنزانة إلى سدّة العرش هو خير تسبيق لقيامة يسوع المسيح الذي انتقل من الموت إلى الحياة، وجلس عن يمين الله الآب وهو الآن يملك على قلوب ربوات من البشر: أمر فاق كلّ تصوّر بشريّ[٤٠].

خاتمة

تشكّل قصّة يوسف نموذجًا واضحًا في الثقة بالربّ والإتّكال عليه، وتتميم إرادته. لقد كانت حياته مسيرة إيمانيّة طويلة؛ فبالرغم من أنّه تعرّض لأحداث خطرة ومقلقة، ظلّ يشعر بالأمان ولم يبرح ذكر إسم الله شفتيه: فعندما جُرّب من قِبَل إمرأة سيّده أجابها: «كيف أصنع هذه السيئة العظيمة وأخطأ إلى الله؟» ولمّا عجز كلّ من ساقي ملك مصر والخبّاز تفسيره حلمهما قال يوسف لهما «أليس أنّ لله التفسير؟»، وعندما سأله فرعون أن يفسّر له حلمه أجابه: «لا أنا، بل الله يجيب فرعون الجواب السليم»، واستهلّ تفسيره له بقوله: ما سيصنعه الله أَخبَرَ به فرعون»، وعندما عاد والتقى بإخوته وعرّفهم عن نفسه، فسّر أحداث الماضي بأنّ الله قد أرسله أمامهم ليحييهم وليجعل لهم بقيّة في أرض مصر ولينجّيهم. وعن أولاده أفرائيم ومنسّى قال يوسف:»هما ابناي اللذان رزقني الله إيّاهما ههنا». وسمّى إبنه البكر منسّى قائلاً: «إنّ الله قد أنساني كلَّ عنائي وبيت أبي كلَّه»، ثمّ سمّى إبنه الثاني أفرائيم، قائلاً: «إنّ الله قد أنماني في أرض شقائي». لقد جعل يوسف من الله السبب الأوّل لجميع ظروف حياته، ممّا أعطاه الإستقرار والسكينة في التفكير والقدرة على المغفرة. وفي كلماته الأخيرة قال يوسف لإخوته: «لا تخافوا، ألعلّي أنا مكان الله؟ أنتم نويتم عليّ شرًّا، والله نوى به خيرًا»، ثمّ أكمل: «هاءنذا أموت، والله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي أقسم عليها لإبراهيم وإسحق ويعقوب». إنّه إذ كان يذكر الله دائمًا، كان يعيش في حضرته، فظلّ رجل الله في أرض لا تعرفه قط. بالرغم من الجاه والعظمة التي حظي بهما، ظلّ محدّقًا بنظره نحو الإله الذي يعبده، ولذلك بقي محافظًا على مبادئه الإيمانيّة وأخلاقه الشخصيّة، ونفّذ بأمانة المسؤوليّة التي أُلقيَت على عاتقه؛ لم يعتزّ بنفسه ولم ينسَ نِعَم الله له. باختصار، كان يوسف قويًّا

٤٠ رج مز ١٠٥: ١٨؛ تك ٤١: ٤٢؛ تك ٤١: ٤٠-٤٦؛ مر ١٦: ١٩؛ لو ٢٢: ٦٩؛ أع ٢: ٣٣؛ ٥: ٣١؛ ٧: ٥٥-٥٦؛ رو ٨: ٣٤؛ كول ٣: ١؛ عب ١٠: ١٢؛ ١٢: ٢؛ ١ بط ٣: ٢٢.

بالله، في أيّام شقائه وفي أيّام نجاحه[٤١].

من ناحية ثانية، تؤكّد لنا قصّة يوسف أنّ مَن يثق بالربّ، فالربّ يكون دائمًا معه لينقذه من الضيق: فعندما رماه إخوته في البئر للقضاء عليه تدخّل الله وأرسل قافلة من المدينيّين لإنقاذه من الموت. ثمّ، عندما اشتراه رئيس الحرس من الإسماعليّين، مرّة جديدة كان الربّ معه، فكان رجلاً ناجحًا. وقد فتح الربّ أعين سيّده فرأى «أنّ الربّ معه، وأنّ جميع ما يعمله يُنجحه الربّ في يده»، ومن علامات رضى الربّ على يوسف «أنّ الربّ بارك بيت المصريّ بسبب يوسف منذ أقامه على بيته وكلّ ما هو له». كذلك، أثناء إقامة يوسف في السجن كان الربّ معه، فلم يكن رئيس السجن «يهتمّ بشيء ممّا تحت يد يوسف، لأنّ الربّ كان معه، ومهما صنع كان الربّ يُنجِحه». وقد كان الله بقربه، وذلك من خلال تفسيره لحلم السجينين، ممّا مهّد الطريق له لتفسير حلم فرعون بنفسه. يجدر القول أنّه ما من قوّة إنسانية كان بإمكانها أن تُخرج يوسف حيًّا من زنزانته. إذًا، كان يوسف ناجحًا لأنّ الربّ كان معه في جميع الظروف. فحياة يوسف كانت تمجيدًا للربّ، حتّى خلال فترة العبوديّة وفي أرض وثنية. ويسوع شهد أنّ الآب يستجيب له دائمًا أبدًا[٤٢].

في كلّ مرّة يثقل علينا عبء الظلم والإضطهاد، تُبلسِم رواية يوسف جراحنا، هو الذي عانى من سوء المعاملة على أنواعها وبنوع خاصّ من قبل الذين أحبّهم واحترمهم[٤٣]، ولكنّه كان على يقين من أنّ سيادة الله لا يضاهيها بَشر، وأنّه لا شيء يحصل للإنسان صدفة، وأنّ الله صالح، فلذلك كلّ ما يحصل للإنسان هو لخيره وليس لضرره[٤٤]. وبالفعل، فقد جلب الله له الخير الأعظم لقاء جميع التعسّفات التي عاناها، وهو إنقاذ أكبر عدد ممكن من الناس من الموت جوعًا.

كان يوسف ثابتًا في إيمانه بالله ومتمسّكًا في الحقّ وهذا ما جعله يصل الى مبتغاه وينتصر على الحسّاد والذين يكمنون له الشرّ[٤٥]. خلافًا لإيمان يوسف الذي أحدث لديه

٤١ رج تك ٣٩: ٩؛ ٤٠: ٨؛ ٤١: ١٦، ٢٥؛ ٤٥: ٥، ٧-٨؛ ٤١: ٥١-٥٢؛ ٤٨: ٩؛ ٥٠: ١٩-٢٠؛ ٥٠: ٢٤-٢٥.

٤٢ تك ٣٧: ٢٤-٢٨؛ ٣٩: ١-٣، ٥، ٢٠-٢١، ٢٣؛ لو ٢٢: ٤٢؛ يو ١١: ٤١.

٤٣ الحقد من إخوته، الإتّهام زورًا من إمرأة ذات شهرة ونفوذ في السلطة، قساوة الحكم التعسّفي من قبل رئيس الحرس، ونكران جميل رئيس السقاة ونسيانه له.

٤٤ وبهذا يلتقي بما يقوله بولس "إنّ جميع الأشياء تعمل لخير الذين يحبّون الله" (رو ٨: ٢٨).

٤٥ في حين أن يعقوب ظلّ يتأرجح في إيمانه بالله، تحلّى يوسف ابنه بثقة ثابتة ومتنامية بسيادة الله على حياته. فمن ناحية، صارع الوالدُ اللهَ وظلّ متمسّكًا به حتّى نال البركة منه (تك ٣٢: ٢٣-٣٢)، ومن ناحية ثانية يقول "عليّ

السلام الداخليّ، تملّك الحسدُ قلوبَ إخوته، وبدوره أدّى إلى الكراهيّة والكراهيّة إلى المؤامرة ضدّ حياة أخيهم، ولهذا السبب نجدهم دائمًا خائفين، أمّا هو فلم يَخَفْ أيّ مرّة. فالحسد، علاوة على كونه يُلحق السوء بالآخرين[٤٦]، هو رفض غاضب لأمر الله، أي إنّه إستياء من الله وغضب منه. لقد قوبلت تقوى الله التي كان يتحلّى بها يوسف بكفر إخوته، ولهذا كانوا يكنّون له الكراهيّة[٤٧].

بيعَ يوسف إلى المصريّين في سن السابعة عشر، وعاش مئة وعشر سنين، فيكون أنّه أمضى في مصر ثلاث وتسعين سنة من عمره. كانت مصر أثناءها تعبد الآلهة الوثنيّة المجسَّدة في الحيوانات. أضِف إلى أنّ يوسف، ولسنين عديدة من عمره، لم يكن شخصًا عاديًّا، بل كان الرجل الثاني بعد فرعون، أي كانت الأنظار موجّهة إليه، وربّما كان معرّضًا لضغط شديد ومستمرّ ليتكيّف مع العادات المصريّة. لكنّه ظلّ محافظًا على إيمانه حتّى الرمق الأخير من حياته. صحيح أنّ يوسف خدم ملكًا مصريًّا، وحمل لقبًا مصريًّا وتزوّج إمرأة مصريّة، وشارك في الاحتفالات الأكثر جلالة واحتفاء في البلاط المصريّ، واهتمّ بالسياسة والاقتصاد، ولكنّه لم يكن مصريًا في قلبه. لقد عاش في خضمّ الوثنيّة، ولكنّه عرف كيف يحفظ إيمانه نقيًا، فلم تنتقل إليه عدوى الوثنيّة المغرية التي غالبًا ما تدغدغ الأحاسيس البشريّة وتعبث بالقيم.

في نهاية سفر التكوين نجد إعلان رجل عظيم بإيمانه بالله[٤٨]. لم يكن يوسف فقط إنسانًا مؤمنًا بالحاضر بل كان واثقًا بما سيفعله الله في المستقبل. كان على يقين من أنّ الله سيفتقد أولاده وسيصعدهم إلى الأرض التي أقسم عليها لإبراهيم وإسحق ويعقوب. إنّه لاهوت الرجاء حيث ينطلق الإنسان من الأمور الحاضرة ويضع مستقبله في يديّ الله.

نزلَتْ كلُّها" (تك ٤٢: ٣٦)، ويقصد بقوله المصائب التي تحلّ به وتُفقده أولاده الواحد تلو الآخر. لقد كان يعقوب متقلّبًا إيمانيًّا، وها هو يقول لفرعون: "قليلة ورديئة كانت أيّام سنيّ حياتي" (تك ٤٧: ٩). إذًا لم يكن قويًا بالإيمان ولم يمجّد الله دائمًا في حياته، كما كانت حال إبنه يوسف.

٤٦ الحسد هو قوّة مدمِّرة، وعليه يقول سفر الأمثال "الحسد نَخرُ العظام" (أم ١٤: ٣٠)، وبدوره يكتب يعقوب: "فحيثما يكن الحسد والمنازعة، يكن الاضطراب ومختلف أعمال السوء" (يع ٣: ١٦).

٤٧ في هذا الصدد قال يسوع لتلاميذه: "إذا أبغضكم العالم فاعلموا أنّه أبغضني قبل أن يُبغضكم"، لو كنتم من العالم لأحبّ العالم ما كان له. ولكن، لأنّكم لستم من العالم إذ إنّي اخترتكم من بين العالم فلذلك يُبغضكم العالم" (يو ١٥: ١٨-١٩).

٤٨ لنسمعه يقول: "هاءنَذا أَموت، والله سيَفتَقِدُكم وُيصعِدُكم مِن هذه الأَرض إِلى الأَرضِ الَّتي أَقسَمَ علَيها لِإبراهيمَ وإِسْحقَ وَيعْقوب" (آ ٢٤).

لقد كان ليوسف إيمان الحاجّ الذي ليس له ههنا مدينة باقية. فبالرغم من أنّه أمضى معظم سنيّ عمره في مصر، أراد أن تكون إستراحته الأخيرة في الأرض التي وعد بها الله الآباء. في الفترة الزمنيّة التي توفّي بها يوسف كانت مصر أرضًا رائعة للعيش فيها، وموقعًا باهرًا للاستمتاع بإرثه وبلدًا مريحًا لإقامة شعب الله فيه. لم يكن هناك أي مؤشّر أنّ المصريّين سينقلبون ويجعلونهم عبيدًا لهم[٤٩]. في كلامه الأخير، إمتزج إيمان يوسف برجائه، فعبّر عنهما من خلال استسلامه لمشيئة الله ولما سيفعله في نسله. أليس الإيمان هو الثقة بكلام الله والشعور بالأمان في حضرته وفي تدابيره؟

أخيرًا، يمكننا القول بأنّ هذه المقارنة بين يوسف بن يعقوب ويسوع المسيح[٥٠] تندرج في إطار ترسيخ قناعتنا بأنّ الحياة الإيمانيّة هي ذاتها، في العهدين القديم والجديد، لا بل في كلّ زمان ومكان، وأنّها تُترجَم بالطريقة عينها على أرض الواقع.

المراجع

COATS George, "The Joseph Story and Ancient Wisdom: A Reappraisal", *CBQ* 35 (1973), 285-297.

KEIL C. F. and DELITZSCH, F., *Biblical Commentary on the Old Testament*, vol. 1, *The Pentateuch*, Grand Rapids, Eerdmans, n.d.

LANGE John Peter, *Commentary on the Holy Scriptures: Genesis*, Grand Rapids,

٤٩ وكما شاء يوسف أن يكون دفنه في مصر مؤقّتًا، بانتظار أن تُدفَن عظامه في أرض الميعاد، هكذا يسوع، لم يبقَ في الأرض التي دُفن فيها سوى ثلاثة أيّام، إذ إنّه عاد إلى "أرض الميعاد السماويّة".

٥٠ غنيّ عن الكلام بأنّ حياة يسوع المسيح بأسرها كانت حياة إيمانيّة، وعلى سبيل المثال نورد بعض أقواله التي هي خير دليل على العلاقة الوطيدة بين الآب وبينه، هو الذي لم يبارح إسم الله قط شفتيه، بل أكثر من ذلك، كان متّحدًا به اتّحادًا وثيقًا: "إنّ الآب يحبّ الابن فجعل كلّ شيء في يده"، "أنا أشهد لنفسي والآب الّذي أرسلني يشهد لي أيضًا"، "أنا والآب واحد"، "إنّ الآب فيّ وإنيّ في الآب"، "وكان يسوع يعلم أنّ الآب جعل في يديه كلّ شيء، وأنّه خرج من الله، وإلى الله يمضي"، "من رآني، رأى الآب"، "والكلمة الّتي تسمعونها ليست كلمتي بل كلمة الآب الّذي أرسلني"، "جميع ما هو للآب فهو لي"، "خرجت من لدن الآب وأتيت إلى العالم، أمّا الآن، فإنّي أترك العالم وأمضي إلى الآب"، "ولستُ وحدي، فإنّ الآب معي" (يو ٣: ٣٥؛ ٥: ٣٧؛ ٨: ١٨ ؛ ١٠: ٣٠، ٣٨؛ ١٤: ١١؛ ١٣: ٣؛ ١٤: ٩، ٢٤؛ ١٦: ١٥، ٢٨، ٣٢).

Zondervan, n.d.

LAWSON George, *Lectures on the History of Joseph* 1807, reprint, London, Banner of Truth, 1972.

MEYER Joseph: *Beloved- Hated- Exalted*, http://preceptaustin.org/joseph_beloved,_hated,_exalted.htm

MONTGOMERY Boice James, *Genesis, An Expositional Commentary*, Grand Rapids, Mich., Baker Books, 1998.

___, *Genesis, An Expositional Commentary*, Grand Rapids, Mich., Baker Books, 1998.

MORRIS Henry M., *The Genesis Record, A Scientific and Devotional Commentary on the Book of Beginnings*, Grand Rapids, Baker, 1976.

PINK, Arthur W., *Gleanings in Genesis*, Chicago, Moody, 1922.
___, http://www.biblebelievers.com/Pink/Gleanings_Genesis/genesis.htm

RAD Gerhard Von, *Genesis, A Commentary*, trans. John H. Marks, Philadelphia, Westminster, 1961.

REDFORD Donald B., *A Study of the Biblical Story of Joseph, VTSup* 20, 1970.

SKINNER John, *A Critical and Exegetical Commentary on Genesis*, in *The International Critical Commentary*, Edinburgh, T. & T. Clark, 1956.